المبادلة الإلهية العظمى

تأليف
ديريك برنس

VISION 4 MEDIA

اسم الكتاب: **المبادلة الإلهية**
المؤلف: ديريك برنس
الناشر: المؤسسة الدولية للخدمات الاعلامية
تليفون: ت: ٠٢/٢٦٩٠٧٧٥٢ ـ فاكس: ٠٢/٢٦٩٠٧٧٥١
المطبعة: المصرية للطباعة ت: ٠٢/٤٦١٠٠٥٨٩
التجهيز الفنى: چى. سى. سنتر للجمع التصويرى ت: ٠٢/٢٦٣٣٧١٢٤
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٥٥٨٢
I.S.B.N. : 977 - 6194 - 11 - 7

برنس، ديريك
المبادلة الإلهية العظمى/تأليف
ديريك برنس ـ ط ٠١ـ القاهرة
المؤسسة الدولية للخدمات الأعلامية، ٢٠٠٧
٤٨ ص ؛ ١٧ سم
تدمك ٧ـ١١ـ٦١٩٤ـ٩٧٧
السيد المسيح ـ الصلب
أ. العنوان ٢٧٣,٢٤

توضيح من المعرب

إن الكتاب المقدس بعهــديه القديم والجديد هو وحي من الله، وكل كلمة فيه تحوي نوراً سماوياً، وفيضاً إلهياً يحي القلوب والأرواح، وإن كان الله قد استخدم عبيده الأنبياء على مر العصور فى كتابته؛ إلا أن أحداً منهم لم يأت بشيء من عند نفسه، فجميعهم من موسى إلى يوحنا مروراً بسائر أنبياء العهد القديم والجديد كتبوا ما أوحــى به الروح القدس دون نقص أو زيــادة.

دعـــوة

قدم السيد المسيح دعوة تشمل الجنس البشري كله: «**تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ**» (متى ١١ : ٢٨) فمهما كانت طبيعة مشكلتك وثقل حِملك، الله يقدم لك الجواب.

لكن .. هناك مكان واحد فقط تجد فيه ذلك الجواب؛ إنه الصليب حيث مات يسوع. فمن خلال الصليب، والصليب وحده، تستطيع الحصول على ما يسد احتياجك، ويحل مشكلتك، ويخفف حِملك.

اقرأ الصفحات التالية متوقعاً الحصـول على بركة عظيمة.!

المبادلة الإلهية العُظمى

تدور رسالة الإنجيل حول حدثٍ تاريخيٍ واحدٍ فريدٍ هو موت **السيد المسيح** على الصليب فداءً لنا [الفداء هو الإنقاذ أو التحرير مقابل ثمنٍ ما. وقد أنقذنا **السيد المسيح** من خطايانا وحررنا من عواقبها وكان موته على الصليب هو الثمن]. وكفّارةً لخطايانا [كلمة كفّارة مشتقة من الفعل «كفر» أي ستر أو غطى، وقد سترنا المسيح بدمه وغطى كل عيوبنا ونقائصنا أمام الله]. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين بهذا الخصوص: «**لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَي الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ.**» (عبرانيين ١٠ : ١٤). وهنا تجتمع عبارتان غايةٌ في القوة والأهمية: «**أكمل**» «**إلى الأبد**»

وهما تشيران إلى ذبيحةٍ تستوعب احتياجات البشر جميعاً، بل يمتد تأثيرها خلال الزمن وعبر الأبدية.

وعلى أساس هذه الذبيحة يكتب الرسول بولس بالوحى إلى مؤمني فيلبي قائلاً: «**فَيَمْلأُ إِلَهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.**» (فيلبي ٤: ١٩). والعبارة «**كل احتياجكم**» تشمل كل جانب من جوانب حياتك: جسدك ونفسك وفكرك وعواطفك كما تشمل احتياجاتك المادية والمالية. لا شيء صغيراً كان أو كبيراً يخرج من دائرة هذه العطية الإلهية. فبعملٍ إلهى عظيمٍ واحد، لبَّى الله كل احتياجات الإنسان وتعامل مع معاناته فى لحظةٍ واحدةٍ حاسمة.

لم يقدم الله حلولاً كثيرة متنوعة لمشاكل الإنسان الكثيرة المتنوعة، بل قدّم لنا حلاً واحداً شاملاً وكافياً وفيه حلٌّ لكل مشكلة. ربما ننتمي إلى خلفيات مختلفة، وكلٌّ منّا يعاني من عبء احتياجاته الخاصة، لكن لكي نقبل الحل الإلهي، علينا جميعاً أن نتوجه إلى المكان نفسه؛ إلى صليب **السيد المسيح**.

لقد ورد تسجيل دقيق لما تم على الصليب في سفر النبى إشعياء الذى أوحي به الله قبل ٧٠٠ عام من حادثة الصلب. ففي سفر (إشعياء ٥٣ :١٠) يصور لنا الوحي «**عبدَ الرب**» الذي يُقدم نفسه إلى الله كذبيحة. ويؤكد العهد الجديد على أنَّ ذلك «العبد» الذي لم يذكر اسمه هو في الحقيقة «**السيد المسيح**». أمَّا الهدف الإلهي الذي حققه بتقديم نفسه كذبيحة فيلخّص بما يلي:

كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا.
ملْنا كُـلٌّ وَاحِـدٍ
إِلَـــى طَرِيقِـــهِ
وَالرَّبُّ وَضَـــعَ
عَـلَـيْـــهِ
إِثْـمَ جَـمِـيـعِـنَـا.
(إشـعيـاء ٥٣: ٦)

هذه هي المشكلة الجوهرية للإنسان؛ لقد ملنا كل واحدٍ إلى طريقه. هناك عدد من الذنوب والمعاصي لم يقترفها الكثيرون منّا، كالقتل مثلاً وربما الزنا أو السرقة وغيرها، لكن هناك شيئاً واحداً مشتركاً بين الجميع: ملنا إلى طريقنا. وبعملنا هذا، أدرنا ظهورنا لله. الكلمة العبرية [أنزل الله التوراة وباقي أسفار

العهد القديم باللغة العبرية] التي تلخص هذا كله هي «آفـون» وقد تُرجمت في النص السابق بالكلمة «إثم» وربما تكون الكلمة الأقرب إلى الأصل في لغتـنا المعاصرة هي «عصيان» أو «تمرد» ليس ضد إنسان بل ضد الله نفسه.

على أية حال، لا الكلمة «إثم» ولا «عصيان» أو «تمرد» تكفي للتعبير عن معنى «آفون». ففي الكتاب المقدس، لا تصف «آفون» الإثم بمعناه المجرد لكنها تشير أيضاً إلى معنى العقاب أو نتائج الشر التي يحملها الإثم في ثـنايـاه.

فمثلاً في (تكوين ٤ : ١٣) وبعد أن أعلن الله حكمه على قايين لقتله أخاه، قال قايين «**ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ**» وترد الكلمة «**ذَنْبِي**» في الترجمات

الأحدث «عقوبتي» أو «عقابي» (انظر ترجمات أخرى للكتاب المقدس). فما هو أصل الكلمة في العبرية؟ إنه «آفون»، فهي كلمة لا تشمل ذنب قايين فحسب بل وعقاب ذلك الذنب أيضاً.

وفي (لاويين ١٦ : ٢٢)، قال الرب بخصوص التيس الذي يُطلَق في البرية: «**لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إِلَى أَرْضٍ مُقْفِرَةٍ**» ففي هذه الصورة الرمزية لا يحمل التيس ذنوب الإسرائيليين فحسب، بل ونتائج تلك الذنوب. (أنظر تفاصيل يوم الكفارة في الأصحاح السادس عشر من سفر الاويين).

أمَّا في سفر مراثي إرميا والأصحاح الرابع فتأتي الكلمة «آفون» مرتين بمعنى واحد: ففي (العدد ٦) «**عِقَابُ بِنْتِ شَعْبِي**» ثم في (العدد ٢٢): «**سَيُعَاقِبُ إِثْمَكِ يَا بِنْتَ أَدُومَ**» ويأتي (العدد ٦) في الترجمة

التفسيرية (كتاب الحياة) : «**عِقَابُ بِنْتِ شَعْبِي**». فالكلمة الواحدة «آفون» تُرجمت إلى عبارةٍ من كلمتين «عقاب الإثم». بمعنى آخر، «آفون» بمعناها الكامل لا تشير إلى «الإثم» المجرد بل تتضمن كل النتائج الشريرة التي تجلبها دينونة الله على الإثم.

وهذا ينطبق على ذبيحة **السيد المسيح** على الصليب. فلم يقترف **السيد المسيح** أي خطية. يقول النبي في (إشعياء ٥٣ : ٩) «**وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِي عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْماً وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ**». لكن في (العدد ٦) يقول «**وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ (آفون) جميعنا**». فلم يحمل **السيد المسيح** إثمنا فحسب، بل تحمَّل كل النتائج الشريرة لذلك الإثم. ومثل ذلك التيس الذي صوره لنا العهد القديم قبلاً، فقد حمل **السيد المسيح**

الإثم بكل نتائجه المؤلمة بعيداً عنا وإلى غير رجعة.

هذا هو المعنى والهدف الحقيقيان للصليب، فعليه تمت المبادلة العظمى التي أعدها الله. أولاً، تحمَّل **السيد المسيح** بدلاً منَّا جميع النتائج الشريرة التي أعلنتها العدالة الإلهية على إثمنا. وبالمقابل، يقدِّم لنا الله كل خير تستحقه طاعة **السيد المسيح** المنزهة عن الخطية.

باختصار أكثر، الشر الذي نستحقه وُضع على **السيد المسيح**، وبالمقابل الخير الذي يستحقه **السيد المسيح** مقدَّم لنا. ويقدر الله على تقديم ذلك لنا من دون أن يساوم على عدالته الأزلية الأبدية، لأن **السيد المسيح** تحمَّل بدلاً منّا كل عقاب عادل تستحقه آثامنا.

كل هذا ينبع من نعمة الله التي لا تُسبرَ أعماقها، ولا يُقبَل إلاَّ بالإيمان وحده. لا يمكن تفسير هذا الأمر منطقياً بالإعتماد على مبدأ السبب والنتيجة. فليس بيننا من عَمِل شيئاً يستحق بسببه هذه النعمة، [النعمة فى المفهوم المسيحى تعنى الذي لا يستحق أي شيء ينال كل الخير دون أن يدفع أي مقابل] وليس بيننا من يستطيع أن يعمل شيئاً على الإطلاق لكي يكتسبها.

وتعلن الكلمة المكتوبة عدة جوانب مختلفة لهذه المبادلة، كما تعلن عدة مجالات مختلفة تنطبق عليها. لكن في كل الحالات هناك مبدأ واحد ثابت:

وُضِعَ الشر على السيد المسيح لكي يُقـدِّم لنا الخـير.

وأول جانبين من جوانب المبادلة نجدها في (إشعياء ٥٣ : ٤ ـ ٥):

«لَكِنَّ أَحْزَانَنَا
حَمَلَهَا
وَأَوْجَاعَنَا
تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ
حَسِبْنَاهُ مُصَاباً
مَضْرُوباً منَ
اللَّه وَمَذْلُولاً. وَهُوَ
مَجْرُوحٌ لأَجْلِ
مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ
لأَجْلِ آثَامنَا. تَأْدِيبُ
سَلاَمنَا عَلَيْه وَبِحُبُرِه
شُفِينَا.»

نحن هنا أمام نسيج مترابطٍ من الحقائق، فبينما ينطبق وعدٌ على ما هو روحي، يشير آخر إلى ما هو طبيعي. ففي الخطة الروحية حمل **السيد المسيح** العقاب الذي تستحقه معاصينا وآثامنا، لكي يكون لنا بالمقابل غفران وسلام مع الله انظر ما كتبه الرسول بولس إلى أهل رومية (رومية ٥ : ١)، وفي المخطط الطبيعي (المادي)

تحمَّل السيد المسيح أمراضنا وأوجاعنا
لكي يكون لنا شفاءٌ بجراحه.

التطبيق الطبيعي لهذه المبادلة نجده مؤكداً في موضعين في العهد الجديد:

(الإنجيل بحسب القديس متى ٨ : ١٦ـ١٧) يشير إلى (سفر النبي إشعياء ٥٣ : ٤) ويقول عن **السيد المسيح**:

«جَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ لكَيْ يَتمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا».

وفي (رسالة بطرس الرسول الأولى ٢ : ٢٤) يشير الرسول إلى ما ورد فى (إشعياء ٥٣ : ٥ـ٦) قائلاً إنَّ **السيد المسيح:**

«وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.»

فالمبادلة المزدوجة الموصوفة أعلاه يمكن تلخيصها فيما يلي:

- **عوقب السيد المسيح لكي تُغفر لنا خطايانا**
- **جُرح السيد المسيح لكي نُشفى**

جانبٌ آخر من المبادلة نجده في (إشعياء ٥٣ : ١٠) الذي يبيِّن أنَّ الله جعل نفس **السيد المسيح** «**ذبيحة إثم.**» وينبغي فهم هذه الحقيقة في ضوء المراسيم الموسوية المتعلقة بأشكال ذبائح الإثم. فالرجل الذي يخطئ كان عليه أن يقدّم للكاهن قرباناً (ذبيحة) من الخراف أو الغنم أو العجول ثم يضع يده على رأس الذبيحة ويبدأ فى الإعتراف بخطاياه، وبعد أن ينتهى يقوم الكاهن بذبح الحيوان، فكأن هذه الخطايا التي تستوجب القصاص قد انتقلت إلى ذلك الحيوان الذي ذُبح بديلاً عن صاحبه. ويُعد هذا المشهد بأكمله رمزاً لما حدث على الصليب، فالله قد وضع خطايانا على **السيد المسيح** الذي مات بديلاً عنّا.

وبحسب علم الله السابق، كل هذه الطقوس كانت إشارة لما ينبغي أن يتم من خلال ذبيحة يسوع

النهائية الكاملة الكافية الوافيــة. فعلى الصليب، انتقلت آثام العالم كله إلى نفس **السيد المسيح**. والنتيجة في (إشعياء ٥٣ : ١٢) «**سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ**» فبموته النيابي المُضحّي، صنع **السيد المسيح** كفّارةً لخطايا البشر جميعاً.

(في رسالة الرسول بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٥ : ٢١) يشير بولس إلى (إشعياء ٥٣ : ١٠) وفي الوقت نفسه يقدّم الجانب الإيجابي من المبادلة:

«**لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَةً، خَطِيَةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ.**»

ولا يتحدث بولس هنا عن أحد أنواع البر التي قد نستطيع تحقيقها بمجهودنا، بل يتحدث عن بر الله نفسه، البر الذي لم يعرف خطية قط، وما من أحد

فينا يستطيع أن يكتسب هذا البر بنفسه، فهو بر يعلو عن برّنا الذاتي علو السماء عن الأرض، ولا يمكن قبوله إلاَّ بالإيمان وحده.

فالجانب الثالث من جوانب المبادلة يمكن تلخيصه بما يلي:

- **جُعل السيد المسيح خطيةً بخطيتنا لكي نتبرّر نحن ببرّه.**

الجانب التالي من المبادلة هو تكملة منطقية للجانب السابق. فالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد يؤكد أنَّ النتيجة النهائية للخطية هي الموت.

يقول الرب في (سفر النبي حزقيال ١٨ : ٤) «**النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوت**». وفي (رسالة الرسول يعقوب ١ : ١٥) يقول الرسول: «**اَلْخَطِيَّةُ**

إِذَا كَمُلَتْ تُنْتِجُ مَوْتاً». فعندما صار **السيد المسيح** خطيةً بخطيتنا، صار من المحتم أن يذوق الموت الذي هو نتاج الخطية.

وتأييداً لذلك، يقول كاتب (الرسالة إلى العبرانيين ٢ : ٩) : «**وَلَكِنَّ الَّذِى وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ**». فموت **السيد المسيح** كان نتيجةً حتميةً لخطية الإنسان التي حملها. لقد تحمّل خطية الناس جميعاً، فمات الموت الذي يستحقونه. بالمقابل، يقدّم **السيد المسيح** عطية الحياة الأبدية لكل من يقبل ذبيحته النيابية. وفي (الرسالة إلى أهل رومية ٦ : ٢٣) يضع الرسول بولس طرفي هذه المبادلة جنباً إلى جنب:

«لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا».

إذاً الجانب الرابع من المبادلة نلخصه فيما يلي:

• مـات السيد المسيح موتنـا لكي نقبل نحـن حياتـه

جانب آخر للمبادلة الإلهية العظمى نجده في (الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس ٨: ٩).

«فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ».

والمقايضة هنا واضحة بين الفقر والغنى؛ افتقر **السيد المسيح** لكي نصبح نحن أغنياء.

متى صار **السيد المسيح** فقيراً؟ يحب بعض الناس أن يصوروه فقيراً أثـناء خدمته على الأرض، لكن هذه الفكرة ليست دقيقة، ربما لم يكن يحمل الكثير من النقود في جيبه، لكنه لم يكن فى أي وقتٍ مفتقراً إلى شيء هو فى إحتياج إليه. وعندما أرسل تلاميذه للكرازة، لم يحتاجوا إلى شيء أيضاً (انظر الإنجيل بحسب القديس لوقا ٢٢ : ٣٥). بل على عكس المفهوم السائد بأنهم كانوا فقراء، كان معلوماً للجميع أنَّ **السيد المسيح** وتلاميذه كانوا يساعدون الفقراء بالمال.

(انظر الإنجيل بحسب القديس يوحنا ١٢ : ٤ ـ ٨ ، ١٣ : ٢٩).

نعـم، كان **السيد المسيح** يوفر المال بأساليب غير تقليدية أحياناً، لكن قيمـة المال هي هي إن أخذتها

من المصرف أو التقطتها من فم سمكة (انظر متى ١٧ : ٢٧). وربما كانت أساليبه في توفير الطعام غير تقليدية أحياناً، لكن رجلاً يستطيع أن يقدم وجبة دسمة لـ ٥٠٠٠ رجل عدا النساء والأطفال، لا يمكن اعتباره فقيراً بالمعايير الطبيعية (انظر متى ١٤ : ١٥-٢١).

في الحقيقة أنَّ **السيد المسيح**، خلال خدمته على الأرض، كان يمثل نموذجاً كاملاً ورائعاً لحياة الفيض التي يصفها الكتاب المقدس. فقد كان لديه دائماً كل ما يحتاج إليه من أجل تتميم إرادة الله في حياته. بالإضافة إلى أنه كان يعطي الآخرين باستمرار، دون أن ينضب نبعُ عطائه.

إذاً متى افتقر **السيد المسيح** من أجلنا؟ الجواب: على الصليب. لقد لخّص موسى سِمات الفقر المطلق

في سفر (التثنية ٢٨ : ٤٨)، وهي «جوع وعطش وعري وعَوَز كل شيء.» وهو ما اختبره **السيد المسيح** إلى أقصى حدود على الصليب.

كان جائعاً، لم يأكل مدةً تقارب يوماً كاملاً.

كان عطشاناً، ومن عباراته التي قالها على الصليب: «**أنا عطشان**» (يوحنا ١٩ : ٢٨).

كان عارياً، بعد أن نزع الجنود ثيابه (يوحنا ٩ : ٢٣).

كان معوزاً لكل شيء، لم يعد لديه ما يملكه، حتى أنه لمَّا مات، كُفِّن بكتانٍ ودفن في قبرٍ مملوك لشخص آخر (لوقا ٢٣ : ٥٠ـ٥٣). وهكذا نجد أنَّ **السيد المسيح** اختبر الفقر إلى أقصى حدوده من أجلنا.

في (كورنثوس الثانية ٩ : ٨) يوضح بولس الطرف الإيجابي من هذه المبادلة بطريقةٍ أكمل:

«وَاللَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ».

ويحرص بولس على تأكيد دور نعمة الله باعتبارها الأساس الأوحد لهذه المبادلة. فذلك ليس شيئاً نستطيع اكتسابه مطلقاً، بل يمكن فقط قبوله بالإيمان.

وكثيراً ما سيكون هذا «الازدياد» أو «الفيض» مشابهاً لما اختبره **السيد المسيح** نفسه على الأرض. ربما لن نحمل قدراً كبيراً من النقود في جيوبنا، وربما ليس لدينا أرصدة هائلة في المصارف، لكننا، يوماً بيوم، نكون مكتفين ولدينا ما يسد احتياجاتنا،

وأحياناً أكثر من احتياجاتنا لكي نعطي الآخرين.

ومن الأسباب المؤيدة لهذا المستوى من النعمة ما تشير إليه كلمات **السيد المسيح** نفسه المقتبسة في (سفر أعمال الرسول٢٠ : ٣٥) «**مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذ**». فهدف الله أن يتمتع أولاده بالبركة فى أفضل وأعظم أشكالها، لذلك هو يوفر لنا ما يغطي احتياجاتنا ويزيد، لكي نعطي الآخرين.

فالجانب الخامس من المبادلة هو:

- **تحمّل السيد المسيح فقرنا لكي نشاركه في فيض غناه**

كما تشمل المبادلة العظمى على الصليب الآلام والمعاناة العاطفية الناشئة عن إثم الإنسان. وفي هذا المجال أيضاً، **تحمَّل السيد المسيح الشر لكي نتمتع**

نحن باخير. ومن أكثر الجروح التي أصابتنا بسبب إثمنا: الخجل والشعور بالرفض. وكلاهما وُضِعا على **السيد المسيح** فوق الصليب.

ويتراوح الخجل في خطورته بين الحرج الشديد وبين الشعور المُذِّل بعدم الأهمية. ذلك الشعور الذي يُبعد الإنسان عن أية علاقة ذات معنى، إن كان مع الله أو مع الناس. ومن أكثر أسباب هذه الحالة شيوعاً بعض أشكال الإساءة أو التحرش الجنسي في فترة الطفولة، والتي تزداد تفشياً في مجتمعاتنا المعاصرة. وغالباً ما تترك هذه التجارب آثاراً غائرةً لا يمكن شفاؤها إلاَّ بنعمة الله.

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين مشيراً إلى **السيد المسيح** على الصليب: «**احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ**» (عبرانيين ١٢ : ٢). فالإعدام بالصلب

كان أكثر أشكال الإعدام إثارةً للخزي والخجل، وكان يُستخدم لأدنى طبقةٍ من المجرمين. كان يتم تجريد المحكوم عليه بالصلب من ثيابه كلها ويُعرض عارياً أمام عيون المارة التي تحدِّق به بسخريةٍ واستهزاء. هذه هي درجة الخزي التي تحمّلها **السيد المسيح** عندما كان معلّقاً هناك على خشبة الصليب (متى ٢٧ :٣٥ـ٤٤).

فعوضاً عن الخزي الذي تحمّله **السيد المسيح**، يريد الله أن يجعل أولئك الذين يثقون **بالسيد المسيح** يشاركونه في مجده الأبدي. يقول الكاتب في (عبرانيين ٢ : ١٠):

«لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ».

فالخـــزي الذي تحمله **السيد المسيح** على الصليب، فتح الطريق أمام كل من يؤمن به لكي يتحرر من خزيه. وليس ذلك فقط، بل سيجعلنا بعد ذلك شركاء في المجد الذي هو حقه الأزلي.

وهناك جرحٌ آخر يكون في الغالب أشد إيلاماً من الخزي والخجل هو الرفض. وعادة ما ينشأ الرفض من أحد أشكال العلاقات المحطمة. ويكون في بداياته ناتجاً عن رفض بعض الآباء والأمهات لأطفالهم. وقد يكون الشعور بالرفض ناشطاً فيتم التعبير عنه بطرائق سلبية خشنة، أو قد يكون التعبير عنه عبارة عن عدم القدرة على إظهار المحبة والقبول. وإذا راعت امرأة حامل مشاعر سلبيةً تجاه جنينها، فالأغلب أن يولد طفلها حاملاً لمشاعر الرفض التي تمكث فيه إلى أن يكبر، وربما إلى أن يموت!

الانفصال الزوجي سببٌ آخر شائع للرفض، وتصوَّر كلمات الرب في (إشعياء ٥٤ : ٦) هذه الحالة بطريقةٍ معبِّرة:

«لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ
مَهْجُورَةٍ
وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ
دَعَاكِ الرَّبُّ
وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا
إِذَا رُذِلَتْ قَالَ
إِلَهُكِ»

أمَّا العلاج الإلهي الذي وفره الله لجرح الرفض فنجده في (متى ٢٧ : ٤٦ ، ٥٠) حيث يصف ذروة ما عاناه السيد المسيح من كَرْبٍ وألم.

«وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِيلِي إِيلِي لَمَا شَبَقْتَنِي أَيْ: إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي. فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ.»

ولأول مرة في تاريخ الكون، يصرخ ابن الله إلى الآب ولا يتلقى أي إجابة! لقد إلتصقت كل أثام البشر **بالسيد المسيح** بشكلٍ تام. حتى أن قداسة الله التي لا تعرف المحاباة جعلته يرفض ابنه الوحيد. هكذا تحمّل **السيد المسيح** الرفض في أقسى وأبشع أشكاله فقد رُفض من الله الآب نفسه. بعد ذلك مباشرةً، مات **السيد المسيح**، لا من جراح الصلب بل من انكسار قلبه بسبب الرفض!

ويتابع متى بعد ذلك مباشرةً فيقول: **«وَإِذَا حِجَابُ**

الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلَ» وهذا إعلان رمزي يشير إلى أنَّ الطريق باتت مفتوحة للخطاة لكي يدخلوا إلى علاقة مباشرة مع الله القدوس. إنَّ رفض **السيد المسيح** فتح لنا الباب لنصير مقبولين عند الله كأبناء وبنات له. وهذا ما يلخصه الرسول بولس في (الرسالة إلى أفسس ١ :٥ ـ ٦).

«إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ.»

ويأتي القسم الأخير من هذه العبارات في الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة) كما يلي:

«التي بها أعطانا حُظوةً لديه في المحبوب».

والحظـوة هـنا بمعنى «القبول» (عكس الرفض).

وهي الكلمة التي تستخدمها أيضاً ترجمة الملك جيمس الإنجليزية:

" H e h a s m a d e u s a c c e p t e d i n t

أي «**هو جعلنا مقبولين في المحبوب**».

ولم يكن الإنسان في يومٍ من الأيام محتاجاً إلى علاج إلهي للخجل والرفض كما هو محتاج إليه اليوم! في تقديري أنَّ ما لا يقلُّ عن ربع الذين تجاوزوا سن البلوغ من سكان العالم اليوم يعانون من جروح الخجل أو الرفض. وكم أبتهج عندما تتاح لي فرصة مساعدة مثل هؤلاء الناس على نيل الشفاء النابع من صليب **السيد المسيح**.

لقد قمنا فيما سبق بتحليل الجانبين المتعلقين بالعواطف في مبادلة الصليب العظمى. وفيما يلي

مُلَخَّص لهما:

• تحمّل السيد المسيح خزينا
لكي نشاركه في مجده.

• تحمّل السيد المسيح رفضنا
لكي نحظى بالقبول عند الآب.

الجوانب التي حللناها حتى الآن بخصوص المبادلة التي تمت على الصليب، تغطي بعضاً من الاحتياجات الإنسانية الهامة والمُلحة، لكننا لا نستطيع أن نقدم تحليلاً كاملاً يشمل كافة الجوانب بلا استثناء. والواقع أنَّ كل احتياج ناشيء من تمرد الإنسان وعصيانه، مشمول في مبدأ المبادلة الذي أكّدناه: وُضِع الشر على **السيد المسيح**، لكي يُقدِّم لنا الخير. فإذا تعلمنا كيفية تطبيق هذا المبدأ في

حياتنا، وصلت نعمة الله إلى كل احتياجاتنا.

بقي أن نشير إلى جانب مهم وحساس من جوانب هذه المبادلة، وهو ما يصفه بولس في (الرسالة إلى أهل غلاطية ٣ : ١٣ ـ ١٤).

«اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ. لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ.»

يطبِّق بولس على **السيد المسيح** المصلوب تشريعاً مقرراً في (تثنية ٢١ : ٢٣)، حيث يصبح الإنسان الذي يعدم مُعلَّقاً على خشبة (شجرة) تحت لعنة الله. ثم يشير بولس إلى النتيجة المعاكسة: البركة.

ولا يحتاج الأمر إلى متخصص فى علم اللاهوت ليقوم بتحليل هذا الجانب من المبادلة:

- **صار السيد المسيح لعنةً لكي ندخل نحن إلى البركة.**

وتُوصف اللعنة التي حملها **السيد المسيح** بأنها «لعنة الناموس». وفي (سفر تثنية ٢٨) يقدم موسى قائمةً شاملةً للبركات الناتجة عن حفظ الناموس، واللعنات الناتجة عن كسره. أمَّا اللعنات المذكورة في (تثنية ٢٨: ١٥ ـ ٦٨) فيمكن تلخيصها فيما يلي:

- الإهانة والذل
- العقم وعدم الإثمار
- الأمراض العقلية والجسدية
- التفكك الأسري

- الفقـــر
- الهزيمة أمام العدو
- الضيق والغم
- الفشل
- عدم التمتع بإحسانات الله

هل تنطبق بعض هذه الصفات على نواحي معينة في حياتك؟ هل هناك أشياء تحلُّ عليك كما يحل الظلام فتحجب شمس بركة الله التي تتوق إليها؟ إن كان كذلك، ربما تكون لعنة ما هي أصل مشاكلك، وعليك أن تتحرر من هذه اللعنة.

لقد رفضه أقرباؤه وخانه أحد تلاميذه بينما تركه الآخرون (مع أنَّ بعضهم عاد يراقب نزعاته الأخيرة!) لقد تم تعليقه عارياً بين الأرض والسماء، محطم

الجسد بفعل جراح بلا عدد، مذلول النفس تحت وطأة آثام العالم أجمع. رفضته الأرض، ولم تستجب لصراخه السماء. وما أن سحبت الشمس ضياءها وغطَّته الظلمة، حتى انسكبت دماء حياته مختلطةً بالحصى والتراب. وللحظة، وقبل أن يلفظ النفس الأخير، خرجت صرخة انتصار عظيمة من وسط الظلام: «**قد أُكمل!**» في النص اليوناني، أصل هذه العبارة «**قد أُكمل**» هو كلمة واحدة عبارة عن فعل في زمن الماضي التام لفعلٍ يعني : «أن تجعل شيئاً ما كاملاً أو تاماً» وهكذا يمكن ترجمتها إلى الصيغة «قد اكتمل تماماً».

لقد قبل **السيد المسيح** على نفسه كل النتائج الشريرة التي يستحقها الإنسان بسبب عصيانه. لقد تحمَّل كل لعنةٍ من لعنات الناموس المكسور. وكل

ذلك، لكي يكون لنا بالمقابل إمكانية قبول كل البركات التي تستحقها طاعة **السيد المسيح**. إنها تضحية مذهلة عجيبة في مداها، مدهشة رائعة في بساطتها.

هل قبلت بالإيمان كل ما تتضمنه ذبيحة **السيد المسيح** وكل ما وفره من أجلك؟ هل أنت مشتاقٌ الآن للدخول إلى ملء نعمة وإحسان الله؟

هناك حاجز واحد علينا أن نتخلص منه؛ إنه حاجز الخطية التي لم تغفر بعد. هل أنت متأكد الآن أنَّ خطاياك قد غُفرت على حساب ذبيحة **السيد المسيح**؟ إن لم تكن كذلك، فمن هنا نبدأ:

قدّم هذه الصلاة البسيطة بالإيمان:

يا إلهي، أعترف بأنني خاطئ وبأن هناك خطايا

لم تغفر في حياتي، لكنني أؤمن بأن يسوع عوقب لكي أحصل أنا على الغفران، لذلك أطلب منك الآن أن تغفر جميع خطاياي.. باسم السيد المسيح.

وتعدنا كلمة الله بأننا «**إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ**». (رسالة الرسول يوحنا الأولى ١ : ٩). ثق بما يقوله الله! آمن في هذه اللحظة بأنه قد غفر بالفعل خطاياك جميعها.

وهناك تجاوب بسيط واحد عليك أن تعلنه، وهو أبسط وأنقى تعبير عن الإيمان الحقيقي؛ قل «شكراً يا رب!» افعل ذلك حالاً! قل « شكراً، شكراً لك يا رب يسوع لأنك عوقبت لكي تغفر خطاياي. أنا لا أفهم ذلك تماماً، لكنني مؤمن به وشاكر».

فإذا أزلنا حاجز الخطية، صار الطريق مفتوحاً لك للدخول إلى جميع إحسانات الله من خلال الصليب. وكما قبلت غفران الخطايا، عليك أن تقبل تلك النعم والإحسانات، عن طريق الإيمان البسيط بكلمة الله.

لكل منَّا احتياجاته الخاصة، وعلى كل منَّا أن يتقدم بنفسه إلى الله لقبول إحسانه. فيما يلي عبارات عامة مقترحة يمكنك استخدامها لقبول أيّ من عطايا الله التي ذكرناها في هذا الكتيِّب:

- **شكراً يا رب يسوع لأنك جُرحت لكي أشفى.**
- **شكراً يا رب يسوع لأنك جُعلت خطيةً بخطيتي لكي أصبح باراً ببرك.**

- **شكراً يا رب يسوع لأنك مت موتي لكي أستطيع أن أقبل حياتك.**
- **شكراً يا رب يسوع لأنك تحمَّلت فقري لكي أصير شريكاً بفيض غناك.**
- **شكراً يا رب يسوع لأنك تحمَّلت خجلي لكي أصير شريكاً في مجدك.**
- **شكراً يا رب يسوع لأنك عانيت من رفضي لكي أصير مقبولاً عند الآب.**
- **شكراً يا رب يسوع لأنك جُعلت لعنةً لكي أتمكن من الدخول إلى ملء بركاتك.**

كل هذه الإحسانات الإلهية التي صليت من أجلها تأتي بطريقة تدريجية، صلاتك التي تبادر بها

الآن تطلق قوة الله في حياتك، وهذه نقطة البداية فحسب. ولكي تحصل على العطاء الكامل بخصوص جانبٍ ما، عليك أن تقوم بما يلي:

١- ابحث بنفسك في الكتاب المقدس عن هذه الحقائق.

٢- كرر باستمرار التأكيد على الجانب المحدد من جوانب المبادلة العظمى الذي يسد احتياجك. (وذلك بإعلانه والاعتراف المستمر به).

٣- أكّد إيمانك باستمرار عن طريق تقديم الشكر لله من أجل ما وفره لك.

وكلما شكرت الله أكثر، كلما ازداد إيمانك بما عمله من أجلك. وكلما آمنت أكثر، كلما رغبت

بأن تقدم المزيد من الشكر. هذان الأمران: الإيمان والشكر فالشكر والإيمان، سُلَّمٌ أو درجٌ لولبي يرفعك شيئاً فشيئاً إلى ملء الله وبركته.

المبادلة علي الصليب

خُلاصة: هناك أساسٌ كافٍ وافٍ واحدٍ ووحيدٍ للتمتع بإحسانات رحمة الله، وهو تلك المبادلة (المقايضة) التي تمت على الصليب.

- **عوقب السيد المسيح لكي تُغفر لنا خطايانا.**
- **جُرح السيد المسيح لكي نُشفى.**
- **جُعل السيد المسيح خطيةً بخطيتنا لكي نتبرر نحن ببره.**
- **مات السيد المسيح موتنا لكي نقبل حياته.**

- **تحمَّل السيد المسيح فقرنا لكي نشاركه في فيض غناه.**
- **تحمّل السيد المسيح خزينا لكي نشاركه في مجده.**
- **تحمّل السيد المسيح رفضنا لكي نحظى بالقبول عند الآب.**
- **صار السيد المسيح لعنةً لكي ندخل إلى ملء البركة.**

هذه قائمة ناقصة! فهناك جوانب أخرى للمبادلة يمكنك إضافتها، وهي جميعها مظاهر مختلفة للخطة التي حققها الله من خلال ذبيحة يسوع. ويجمع الكتاب المقدس هذه المظاهر جميعاً في كلمة واحدة

شاملة هي «الخلاص..» غالباً ما يحدد المؤمنون الخلاص باختبار غفران الخطايا والولادة الجديدة. ورغم أنه اختبار رائع، إلاَّ أنه الخطوة الأولى فقط من الخلاص الكامل الذي يعلنه العهد الجديد.